AL ATSAR : Jurnal Ilmu Hadits
Volume 1 Nomor 2 Oktober 2023
Email Jurnal : al.atsar.ejornal@gmail.com
Website Jurnal : ejournal.stdiis.ac.id/index.php/Al-Atsar

أثر الجماعة في استقرار الوطن

Muhammad Bakhit al-Hujaili
Program Studi Fiqih Sunnah
Universitas Islam Madinah Saudi Arabia
aammbb2@gmail.com

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، فجزاه الله تعالى عن الإسلام وأهله خير الجزاء. وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [آلعمران: ١٠٢]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا } [الأحزاب: ٧٠]

{ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧١]

إن الأمن واستقرار الوطن من أعظم نعم الله على عباده فقال عن أهل مكة { أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [القصص : ٥٧]

ومن أعظم ما يحقق الامن والاستقرار اجتماع الكلمة والبعد عن الفرقة ولذا فإن نصوص الكتاب والسنة جاءت بالأمر بالاجتماع والنهي عن الفرقة ونوعت الدلالة على بيان أهميته، ولذا آثرت أن تكون مشاركتي في " الندوة العلمية الدولية الثانية لعلوم الحديث والتي عنون لها استقرار الوطن على ضوء الحديث النبوي " بورقة عمل تسهم في تجلية أهمية الأمن ودور الجماعة في تحقيقه وذلك من خلال المحاور الآتية :

- التعريف بالجماعة وبالوطن وبالأمن
- أهمية الجماعة والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة
- موقف أهل السنة والجماعة من الجماعة
- دور طاعة ولي الأمر في الاجتماع وتحقيق استقرار الوطن موقف أهل البدع قديما وحديثا من الجمعة
- خاتمة أذكر فيها أهم النتائج والتوصيات وهذا أوان الشروع في المقصود

المحور الأول : تعريف الجماعة :

الجماعة مأخوذة من الجمع؛ و " الجمع: اسمٌ لجماعة الناس، والجمعُ مصدر مؤكد جمعت الشيء والجمع : المجتمعون، وجمعه : جموع، والجماعة والجميع والمجمع، كالجمع" أي اسم للجمع.

وفي الاصطلاح يدور كلام العلماء في تعريف الجماعة على الاجتماع على الحق دون النظر للعدد؛ قال أبو شامه "وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المستمسك بالحق قليلًا، والمخالف كثيرًا؛ لأن الحق

هو الذي كانت عليه جماعة الجماعة الأولى من النبي – صلى الله عليه وسلم - وأصحابه – رضي الله عنهم -، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم".[447]

وتطلق الجماعة على الأمة المجتمعة على أمام حاكم ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (قال من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية)[448]

قال العيني: " قيل المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء فكنى عنها بمقدار الشبر لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق"[449]

والجماعة في الحديث تأتي أيضا بالمعنى الأول قال ابن الأثير : " مفارقة الجماعة : ترك السنة واتباع البدعة".[450]

تعريف الوطن

قال الجوهري: " الوطن: محل الإنسان وأوطان الغنم مرابضها، وأوطنت الأرض، ووطنتها توطينا، واستوطنتها، أي اتخذتها وطنا" [451]

: " (الوطن) : مكان الإنسان ومحله و (أوطن (أرض كذا و (استوطنها) و (توطنها) فيه

: اتخذها محلا ومسكنا يقيم و (الموطن (: كل مقام قام به الإنسان لأمر ومنه : " إذا أتيت مكة ووقفت في تلك المواطن فادع الله لي ولإخواني " . وكذا قوله : " ترفع الأيدي في سبعة مواطن "

فالوطن هو المكان الذي ينتمي إليه الفرد ويلزمه ويقيم فيه وقد ارتبط هذا الموضع به ارتباطا وثيقا يحزن عند فراقه ويفرح بالعودة إليه وكم تغنى الشعراء بالشوق للأوطان والعودة إليه وأنشدوا حزنا لفراقه

[447] الباعث على إنكار البدع والحوادث: ص٣٤.
[448] أخرجه البخاري: (٦٦٤٦)
[449] عمدة القاري: ٣٥/١٠٩
[450] النهاية في غريب الحديث : ٢/٤٦٢
[451] الصحاح : ٢/٢٨٥.

قال قتادة بن إدريس:

بلادي وإن جارتْ عليَّ عزيزة * وأهلي وإن ضَنُّوا عليَّ كرام

وقال أبو هلال العسكري:

إذا أنا لا أشتاقُ أَرضَ عشيرتي * فليس مكاني في النهى بمكين

من العقل أن أشتاق أول منزل * غنيتُ بخفض في ذراه ولينِ

ولقد جاءت النصوص ببيان قوة هذا الارتباط وتعزيز هذه الغريزة قال تعالى {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا } [الحج: ٤٠]

فجعل الديار حق لأهلها وإخراجهم منها إخراج بغير حق بل جعل إخراجهم منها للجهاد قال تعالى { قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلَّا تُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا} [البقرة : ٢٤٦]

"فجعلوا ذلك علة قوية توجب التشديد في أمر الجهاد ؛ لأن من بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر من أمره الاجتهاد في قمع عدوه ومقاتلته" [452]

وأظهر النبي صلى الله عليه وسلم حبه لموطنه فعن عائشة – رضي الله عنها-، أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم - قال: (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا للدِينَةَ كَحُبَنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، وصَحِحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا ومُدِّهَا، وانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالجُحْفَةِ)[453]

وهذا الحب حب طبيعي لا يؤاخذ الإنسان به لكن لا يجوز تقديمه على محاب الله ، ولا التعصب لها ولا تقديمها على أخوة الدين وشريعة الإسلام؛ فعن أبي نضرة حدثني من سمع : خطبة رسول الله صلى الله عليه و سلم في وسط أيام التشريق فقال يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى.

[452] أخرجه أحمد: (٢٤٠).

[453] أخرجه البخاري: (٣٧١١).

وإذا كان حب الوطن مشروعا بل هو أمر جبلت عليه النفوس، واتفقت عليه الأعراف فهو موجب للسعي في تحقيق أمنه واستقراره والدفاع عنه ولا يتخلى عن هذه المهمة إلا من فقد هويته واختلطت عليه مبادئه وأصول عقيدته واتبع من أضله هواء.

تعريف الأمن:

يعرف الأمن بأنه: "الاطمئنان بعدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف" [454]

وقد تردد ذكر كلمة الأمن في الكتاب والسنة من ذلك قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأمن أو الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ } [النساء : ٨٣] أي أن لمنافقين إذا جاءهم أمر يوجب الأمن أو الخوف نشروه وأمن الوطن هو حماية الأرض وشعبها وسكانها من الأخطار التي تهددها في كافة المجالات وتحقق الاستقرار والاطمئنان في الحاضر والمستقبل[455]

المحور الثاني: أهمية الجماعة والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة

جاءت النصوص باعتبار الاجتماع أصلا من أصول الإسلام فقد تواترت النصوص في الأمر بالجماعة والتأكيد على تحقيقها والتشديد في النهي عن الفرقة والاختلاف والتغليظ في عقوبته

في نصوص كثيرة منها؛ قوله تعالى {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ

النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَقْتَدُونَ } [آل عمران : ١٠٣] { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون} [آل عمران : ١٠٤]

[454] التعاريف للمناوي : ص ٩٤.

[455] انظر تفسير الألوسي: ٤/١٥٢

{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عظيم} [آل عمران: ١٠٥] { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } [آل عمران : ١٠]

قال ابن عباس في هذه الآيات ونحوها: " أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله[456]

فأمر الله بالاجتماع في الدين وبه فسر حبل الله وفسر بالقرآن وبالإسلام وبالأمر والنهي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " قال ابن عباس: (تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والضلالة). فالله تعالى أمر المؤمنين كلهم بأن يعتصموا بحبله جميعاً، ولا يتفرقوا، وقد فُسّر حبله بكتابه وبدينه وبالإسلام وبالإخلاص وبأمره وبعهده وبطاعته، وبالجماعة، وهذه التفاسير كلها منقولة من الصحابة والتابعين، وكلها صحيحة؛ فإن القرآن يأمر بدين الإسلام وذلك هو عهده وأمره وطاعته، والاعتصام به جميعاً إنما يكون في الجماعة، ودين الإسلام حقيقته الإخلاص لله . وأخرج مسلم وأحمد عن أبي هريرة رضي الله أن عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)[457] . وفي حديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رُبّ حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث خصال لا يَغِلُ عليهن قلب مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط بهم من ورائهم..)(١٣) فبين النبي في هذا الحديث ما يقوم به دين الناس ودنياهم ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع على الأمير قال ابن مسعود رضي الله عنه: (أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة، خير مما تحبون في الفرقة)[458] . فالاجتماع على الإمام تتحقق به المصالح وتستقر بها الحياة و تطمئن بها المجتمعات لذا فإن النبي أمر بطاعة ولي الأمر في كل الأحوال ما لم يأمر بمعصية

[456] أخرجه الطبري في تفسيره: ١١/٤٣٥

[457] منهاج السنة: ٥/١٣٥

[458] التعاريف للمناوي : ص ٩٤

الله والاجتماع عليه والصبر عليه عند رؤية ما يكره ؛ فعن عبد الله رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).[459]

و ابن عباس رضي الله عنهما : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية)[460]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول(من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا وإن قال بغيره فإن عليه منه).[461]

وعن نافع قال جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية – يعني خرج على زيد لما ادعو عنه انتشار المنكر في وقته- فقال اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال إنى لم أتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم يقوله سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول « من خلع يدا يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية).[462]

فهذه الأحاديث كما ترى أيها القارئ تشدد على قضية السمع والطاعة للإمام وعدم الخروج عليه، وإن لم ترض طريقته و تحمد سيرته، بل لو كان ظالما لك بأخذ مالك أو ضرب جسدك فعليك بالصبر والطاعة ؛ فعن حذيفة بن اليمان قال قلت يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر قال نعم. قلت هل وراء ذلك الشر خير قال « نعم ». قلت فهل وراء ذلك الخير شر قال « نعم ». قلت كيف قال « يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي

[459] أخرجه البخاري (٦٧٢٥) ومسلم (١٨٣٩)
[460] أخرجه البخاري (٦٦٤٦) ومسلم (٤٨٩٦)
[461] أخرجه البخاري (٢٧٩٧) ومسلم (٤٨٥٢)
[462] أخرجه مسلم (٤٨٩٩)

وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس). قال قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك قال (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع).[463]

ولفظ البخاري : " كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال (نعم) . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال (نعم وفيه دخن) . قلت وما دخنه ؟ قال (قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر) .

قلت فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال (نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) . قلت يا رسول الله صفهم لنا قال (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) . قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) . قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)

قال ابن بطال : " وفيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك القيام على أئمة الجور ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم وصف أئمة زمان الشر فقال : (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها (فوصفهم بالجور والباطل والخلاف لسنته ؛ لأنهم لا يكونون دُعاةً على أبواب جهنم إلا وهم على ضلال ، ولم يقل فيهم تعرف منهم وتنكر ، كما قال فى الأولين ، وأمر مع ذلك بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم ، ولم يأمر بتفريق كلمتهم وشق عصاهم".[464]

وقال ابن جماعة الكناني رحمه الله : "حقوق السلطان العشرة : فالحق الأول : بذل الطاعة له ظاهراً وباطناً ، في كل ما يأمر به أو ينهى عنه ، ، إلا أن يكون معصية، قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [النساء: ٥٩] وأولو الأمر هم: الإمام ونوابه عند الأكثرين، وقيل : هم العلماء. وقال النبي صلى الله عليه وسلم" :السمعُ والطاعة على المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية "فقد أوجب الله تعالى ورسوله طاعة ولي الأمر، ولم يستثن منه سوى المعصية فبقى ما عداه على الامتثال"[465]، وقال الإمام النووي رحمه الله : "تجب طاعته ولاة الأمور فيما يشُقُ وتكرهه

[463] أخرجه مسلم (٤٨٩١)

[464] شرح صحيح البخاري: ١٠/٣٣

[465] تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام : ص ٦٢

النفوس، وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت معصية فلا سمع ولا طاعة[466] . وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " وفي الحديث وجوب طاعة ولاة الأمور وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية كما تقدم في أوائل الفتن والحكمة في الأمر بطاعتهم المحافظة على اتفاق الكلمة لما في الافتراق من الفساد.[467] ففي الخروج على الأئمة ضرر كبير مفسد للبلاد والعباد والأدلة على ذلك يطول سردها واستيفاء فوائدها وأقوال العلماء في معانيها، وجميعها يدل على عظم أهمية هذا الباب وعظيم بيان الشريعة لهذا الأصل، وأن هذا الباب لم يوكل لعقول الناس وآرائهم ليخوضوا فيه بأهوائهم، وكم ظل في هذا الباب أناس تركوا النصوص وراءهم ظهريا واستبدلوا بها أراء منحرفة وأقوال ضالة، فضلوا وأضلوا وأفسدوا ولم يصلحوا والله المستعان.

المحور الثالث موقف أهل السنة والجماعة من الجماعة

من أعظم محاسن أهل السنة الجماعة أنهم يتمسكون بالنصوص وموجبها ولا يرون ردها وعدم الانقياد لها؛ قال ابن تيمية: "جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وهذا ما درج عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم".[468]

و قال ابن القيم : " فالقلب الصحيح السليم : ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه فهو صحيح الإدراك للحق تام الانقياد والقبول ،له والقلب الميت القاسي : لا يقبله ولا ينقاد له"[469] وهم في الباب يسيرون على مقتضى

[466] شرح صحيح مسلم: ١٢/٢٢٤

[467] فتح الباري: ١٣/١١٢

[468] مجموع الفتاوى: ١٣/١٣٥

[469] إغاثة اللهفان: ١/١٠

النصوص، وإن سميت عند من خلاق لهم ضعفا، لذا تتابعت كلمات علماء السلف في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر وإن جاروا وظلموا وجعلوا هذا من أصول الاعتقاد والإخلال به خروج عن عقيدتهم وانحراف عن سبيلهم وسنتهم موجب للضلال والزيغ والهلاك، وقد تتابعت كلمات الأئمة من لدن الصحابة إلى يومنا هذا في التأكيد على هذا الأصل: فعن سويد بن غفلة، قال: أخذ يوم عمر تلقاه بيدي فقال: يا أبا أمية إني لا أدري لعلنا لا نلتقي بعد يومنا هذا، اتق الله ربك إلى كأنك تراه وأطع الإمام وإن كان عبدا حبشيا مجدعا إن ضربك فاصبر، وإن أهانك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن أمرك بأمر ينقص دينك فقل طاعة مني دمي دون ديني ولا تفارق الجماعة.[470]

وقال عبد الله بن مسعود : "أيها الناس إن هذا السلطان قد ابتليتم به ، فإن عدل كان له الأجر وعليكم الشكر ، وإن جار كان عليه الوزر وعليكم الصبر".[471]

و عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهوننا عن سب الأمراء".[472]

- قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : " ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية. ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق".[473] وقال رحمه الله: عليكم بالإنكار في قلوبكم، ولا تخلعوا يدا من طاعة، لا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح برّ، ويستراح من فاجر .

وقال علي بن المديني: " ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد اجتمع عليه الناس فأقروا له بالخلافة بأي وجه كانت برضا كانت أو بغلبة فهو شاق هذا الخارج عليه العصا ، وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن مات

[470] أخرجه ابن أبي شيبة : ١٣/٥٤٤ ، و الداني السنن الواردة في الفتن: ص ٥٩
[471] أخرجه ابن أبي شيبة: ١٥/٧٠ ٣٨٤٤٩)
[472] أخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن: ص٥٨
[473] أصول السنة مع الشرح: ٢/٢

الخارج عليه مات ميتة جاهلية . ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس ، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة".[474]

قال الإمام الطحاوي رحمه الله : " ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة".[475]

. قال الإمام النووي رحمه الله : الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته.

- قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور.

ولا يكاد يخلوا كتاب من الكتب العقيدة إلا وهو يجعل طاعة ولي الأمر أصلا من أصول الاعتقاد، ويجرم الخروج عليه وكذا كتب الحديث وشروحها وكتب العلم التي تورد نصوص الطاعة ومسائلها، فطاعة ولي الأمر وتحريم الخروج عليه أصل أصيل من أصول الإسلام بل من محاسنه العظام.

المحور الرابع دور طاعة ولي الأمر في الاجتماع وتحقيق

استقرار الوطن

إن طاعة ولي الأمر سبب في الاجتماع ولها نجد أن الشريعة أمر بهما سويا ولا اجتماع إلا بطاعة ولي الأمر، ومتى ما عظم السلطان وحفظت هيبته بين الرعية انتظم

[474] شرح أصول أهل السنة: ١/٣١٣

[475] العقيدة الطحاوية مع التعليقات المختصرة: ٦

حال البلاد واستقر وازدهر ومتى ما استهين بأمر السلطان ولم وضيعت أوامره اضطربت البلاد وعمت الفتن وضيعت الحقوق؛ يقول الصابوني: " يعتقد أهل السنة

جواز الصلاة خلف كل إمام مسلم براً كان أو فاجراً، وكذلك جهاد الكفرة مع الأئمة سواء كانوا عادلين أو ظالمين ،جائرين ويرون الدعاء للأئمة بالصلاح والتوفيق، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، لما في ذلك من تحقيق الجماعة والأمن للأمة".[476]

فلا أمان للبلاد ولا استقرار للوطن إلا بالجماعة ولا جماعة إلا بإمام؛ قال تميم الداري تطاول الناس في البناء في زمن عمر فقال عمر : يا معشر العريب الأرض الأرض إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة.[477] فالإسلام والجماعة والإمامة والطاعة لا ينفك بعضها عن بعض، ولا يوجد عنصر دون الأخرى فالجماعة والطاعة ضرورة لا بد منها ولا يقوم أمر الدين والدنيا إلا بها، قال ابن عبد البر: " وأما أهل الحق وهم أهل السنة فقالوا هذا هو الاختيار أن يكون الإمام فاضلا عدلا محسنا فإن لم يكن فالصبر على طاعة الجائرين من الأئمة أولى من الخروج عليه لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف ولأن ذلك يحمل على هراق الدماء وشن الغارات والفساد في الأرض وذلك أعظم من الصبر على جوره وفسقه والأصول تشهد والعقل والدين أن أعظم المكروهين أولاهما بالترك وكل إمام يقيم الجمعة والعيد ويجاهد العدو ويقيم الحدود على أهل العداء وينصف الناس من مظالمهم بعضهم لبعض وتسكن له الدهماء وتأمن به السبل فواجب طاعته في كل ما يأمر به من الصلاح أو من المباح".[478]

وقال ابن تيمية: المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته".[479]

---

[476] عقيدة السلف: ص ١٧ مع الشرح

[477] أخرجه الدارمي: ١/ ٩١ بسند ضعيف لكن له شاهد يتقوى به من قول أبي الدرداء

[478] التمهيد: ٢٣/٣٧٩

[479] منهاج السنة: ٣/٢٣١

ويقول أيضا : " يجب أن يعرف إن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة، ولهذا روي: (أن السلطان ظل الله في الأرض)، ويقال: "ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان"، والتجربة تبين ذلك.

ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض و أحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: «لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان".[480]

وصدق رحمه الله فالتجربة تبين ذلك، والواقع يصدقه فما أن يخرج الناس على إمامهم حتى تموج الفتن في البلاد ويكثر الهرج وتسفك الدماء وتستباح الأرض والعرض، ولكمال الشريعة أنها لم تكتف بالنهي عن الخروج فقط، بل جاءت بتحريم الإنكار العلني على السلطان خوفا من إثارة الفتن واختلال الأمن وما أدق تبويب البخاري في كتاب الفتن فقال "باب الفتن التي تموج موج البحر"، وذكر حديث أبي وائل قال: قيل لأسامة ألا تكلم هذا ؟ قال قد كلمته ما دون أن أفتح بابا أكون أول من يفتحه وما أنا بالذي أقول لرجل بعد أن يكون أميرا على رجلين أنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول إني كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر و أفعله) وذكره لأثر أسامة مع هذا الحديث في هذا الباب في غاية المناسبة وروعة الاستدلال، فالكتاب كتاب الفتن، والباب في هيجان الفتن واضطرابها كأمواج البحر، ومعلوم أن من أعظم أسبابها منازعة السلطان وتحريك قلوب العامة ضده، وكم استخدمت هذه الشعيرة العظيمة بعكس ما يراد منها، فيظهر أهل البدع الإنكار على ولي الأمر ويعلنونه لا لأجل إنكار المنكر، ولكن لأجل إيغار الصدور على ولي غير الأمر، فذكر أثر أسامة الذي أرشد فيه إلى الطريقة الصحيحة في الإنكار الذي تتحقق به المصلحة من فساد أو شر وفتنة ولهذا قال رضي الله عنه " قد كلمته ما دون أن أفتح بابا أكون أول من يفتحه" أي باب الفتنة قال ابن بطال: " يريد

[480] السياسة الشرعية: ص ٢١٧

لا أكون أوّل من يفتح باب الإنكار على الأئمة علانيةً فيكون بابا من القيام على أئمّة المسلمين فتفترق الكلمة وتتشتت الجماعة".[481]

ولقد شهد العالم بأسره حكمة الشارع في هذه التعاليم الصارمة المانعة من تجاوز حكم الحاكم وعصيانه حيث وصفة الخروج على الحاكم بالخيانة العظمى وأمر بقتل الخارج عليه فعن نافع قال لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال : إني سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول (ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة) . وإنا قد بايعنا هذا الله ورسوله وإني لا أعلم غدرا أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال وإني لا أعلم أحدا منكم خلعه ولا تابع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل على بيع بيني وبينه.[482]

وعن عبد الله بن عمر بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر).[483]

ولقد تجرع العالم بأسره أسوء النكبات وأثخنته الجراحات من جراء الخروج على الحاكم، وإن وصف بأبشع الأوصاف، لكن الواقع يشهد بأن حال الناس قبل الخروج عليه لا يقارن بحالهم بعد الخروج عليه؛ حين فقد الأمن وساءت كل معاني الحياة وجوانبها؛ فكم خس بتلك الثورات - المسماة زورا وبهتانا - بالربيع العربي؛ لقد ندب الناس بعد عقد من الزمن حظهم على ما جرى لبلادهم وبلاد المسلمين، بعد انجرافهم خلف دعاية الإصلاح والحرية، خسر المسلمون فاحتلت بلادهم وانهارت اقتصادياتهم وشردت أسرهم، وجهل أطفالهم ورملت نساؤهم وهدمت بلدانهم واحتل العدو أرضهم وخيراتهم وازداد الظلم والاستبداد فيهم؛ سنة الله في مخالفي شريعته؛ فاللهم رحماك رحماك، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وسأضع بين يديك أيها القارئ دراسة قام بها المنتدى الاستراتيجي العربي في حصر إجمالي خسائر الثورات المسماة زورا وبهتانا بالربيع العربي.

[481] شرح ابن بطال: ١٠/٤٩

[482] أخرجه البخاري: (٦٦٩٤)

[483] أخرجه مسلم : (٤٨٨٢)

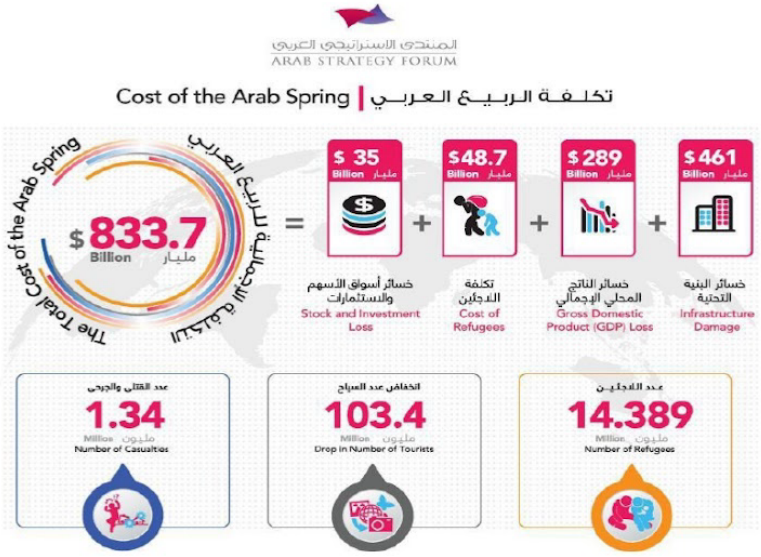

الخامس موقف أهل البدع قديما وحديثا من الجماعة

من أبرز صفات أهل السنة الاجتماع على الحق وهو من أصولهم العظام ولذا سموا بأهل السنة والجماعة، وبضدهم أهل البدع فهم أهل خلاف وفرقة وأهل بغض وعداوة بسبب مخالفتهم للحق وتركهم لبعضهم، قال تعالى { ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة } "فهذا نص في أنهم تركوا بعض ما أمروا به فكان تركه سببا لوقوع العداوة والبغضاء المحرمين وكان هذا دليلا على أن ترك الواجب يكون سببا لفعل المحرم كالعداوة والبغضاء".[484]

وقال تعالى : { فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء } "فلما تركوا حظا مما ذكروا به اعتاضوا بغيره فوقعت بينهم العداوة والبغضاء".[485]

[484] كتب ورسائل لابن تيمية : ٢٠/١٠٢

[485] مجموع الفتاوى: ٧/١٧٣

قال ابن تيمية : " وقد ظهر بذلك أن المفترقين المختلفين من الأمة إنما ذلك بتركهم بعض الحق الذي بعث الله به نبيه وأخذهم باطلا يخالفه واشتراكهم في باطل يخالف ما جاء به الرسول . وهو من جنس مخالفة الكفار للمؤمنين كما قال تعالى { تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض } إلى قوله { ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد } . فإذا اشتركوا في باطل خالفوا به المؤمنين المتبعين للرسل نسوا حظا مما ذكروا به فألقى بينهم العداوة والبغضاء واختلفوا فيما بينهم في حق آخر جاء به الرسول فآمن هؤلاء ببعضه وكفروا ببعضه والآخرون يؤمنون بما كفر به هؤلاء ويكفرون بما يؤمن به هؤلاء . وهنا كلا الطائفتين المختلفتين المفترقتين مذمومة . وهذا شأن عامة الافتراق والاختلاف في هذه الأمة وغيرها".[486] فالبدع سبب لوقوع الفرقة والعداوة والبغضاء والاقتتال، قال أبو قلابة : ما ابتدع قوم بدعة قط إلا استحلوا بها السيف.[487] وقال أيوب السختياني : "إن الخوارج اختلفوا في الإسلام ، واجتمعوا على السيف".[488] فهذا شأن أهل البدع أوجبت لهم بدعهم بغضا للحق وأهله، فخرجوا عن أئمتهم وفرقوا أمتهم وهذا حال كل من خالف أهل السنة والجماعة قديما وحديثا.

خاتمة أذكر فيها أهم النتائج والتوصيات

وفي خاتمة هذه الورقة العلمية أذكر بعض النتائج على سبيل الاختصار :

1. أن الاعتصام بالحق والاجتماع على الإمام أصل عظيم من أصول الإسلام
2. أن الجماعة أمان .من الفتن وجوب طاعة السلطان وتحريم مخالفته والتغليظ في ذلك
3. أن الدعوة للاجتماع على السلطان هو اعتقاد سلف الأمة قاطبة وعليه إجماعها
4. أن الخروج على ولي الأمر هو طريق أهل البدع
5. أن الخروج على السلطان سبب للاضطراب وفساد الوطن

[486] مجموع الفتاوى: ١٦/٢٤٦

[487] أخرجه عبد الرزاق : (١٨٦٦٠)

[488] أخرجه البغوي في شرح السنة: ٥/٢٣٧

ومن أهم التوصيات

1. العناية بالبحوث المتعلقة بطاعة ولي الأمر وتحريم مخالفته وتنويع هذه البحوث وتنويع دراستها بحيث تشمل الجوانب العقدية والحديثية والفقهية وآثارها الإيجابية والآثار السلبة المترتبة على الإخلال بها
2. العناية بالأبحاث التي تكشف دور الحركات السياسة ومظاهرها الحديثة في التعامل مع الحكام في الإخلال بأمن البلد واستقرار الوطن